ميتافيزيقا

الدرس الرابع

الطريق المسدود

1. محاورة بارمنيدس

في **محاورة بارمنيدس** نصل إلى طريق مسدود، أو يوصلنا أفلاطون إلى طريق مسدود، ولكنّه طريق سيؤدّي إلى فلسفة أكثر دقّة وشمولاً، كما سنرى فيما بعد.

الفرضيّة الأولى :

إذا كان الواحد موجوداً، ما الّذي ينتج عن ذلك؟

ليس في أي مكان.
ليس ثابتاً ولا متحرّكًا.
لا يمكنه أن يكون نفس أي شيءٍ آخَر.
ليس مشابها وليس غير مشابه.
ليس مساوياً وليس غير مساوٍ.
ليس أكبر سنًّا وليس أصغر سنًّا.
وهو بالتالي ليس في الزمان : لا يمكننا القول أنّه كان، أو يكون، أو سيكون.
بما أنّ هذه هي الطرق الوحيدة **للمشاركة** في الكيان، علينا أن نستنتج أنّ الواحد ليس كائناً.
وبالتالي، بما أنّه ليس كائناً، فهو ليس الواحد ولا يمكن معرفته ولا تسميته. نصل بالتالي إلى **العبث** (absurde) الباطل.

الفرضية الثانية :

إذا كان الواحد، فهو يشارك في الكيان.
ما ينتُج عن ذلك؟

يعني ذلك أنّ للواحد جزأين : الواحد والكيان. وكلّ من الجزأين يحتوي أيضاً الواحد والكيان، إلى غير نهاية... وبالتالي، الواحد عددية لامتناهية.
- وهو إذاً مجموعة مؤلّفة من أجزاء ، ويعني ذلك أنّه محدود، لأنّ الأجزاء هي في داخل المجموعة.
- بما أنّه محدود، فله أطراف وبالتالي شكل.
وهو في نفسه وفي شيءٍ آخَر.
هو نفسُه وشيءٌ آخَر.
وهو مشابه وغير مشابه لنفسه وللآخَرين : يختلف عن الآخَرين بنفس القدر الّذي يختلف الآخرين عنه فيه، وبالتالي بشكلٍ متشابه.
وهو في اتّصال ودون اتّصال بغيره.
وهو يساوي ولا يساوي نفسه وغيرَه.
وهو يصير ويكون أصغر سنًّا وأكبر سنًّا من نفسه ومن الآخَرين. **بما أنّه يشارك في الكيان، فهو يشارك في الزمان.**

بشكلٍ مختَصَر : لدينا 9 فرضيات ترينا بوضوح الطريق المسدود الّذي تؤدّي غيه فلسفة إيليا.

وقد نظر المعلّقون على هذه المحاورة منذ البدء من وجهتَي نظر مختلفَتَين :
- منطقياً : أي من وجهة نظر المنطق. نصل عندها إلى طريق منطقي مسدود تؤدّي غليه هذه النظرية.
- أونتولوجياً : أي من وجهة نظرٍ كيانية. أهمّ من اعتمَدها هو أفلوطين في القرن الثالث للميلاد، ثمّ غيره في القرون الوسطى. وقد اعتُبرت عندها نوع من اللاهوت السلبي.

- وسيقول البعض أيضاً أنّ **محاورة بارمنيدس** تؤدّي في طريقة صياغتها وفي حججها إلى الريبية (scepticisme) الصرفة.

- دحض الواحدية : يستعمل سقراط الجدلية المعروفة كأصعب الجدليات، أي جدلية زينو، لكي يدحض فكر هذا الأخير وفكر أتباعه، أي الواحدية. وما يثير السخرية في هذه المفارَقة، أنّه يستخدم بارمنيدس نفسه للقيام بذلك، أي أنّ الواحدية تدحض نفسها في هذه المحاورة.
- وتعرف أنّ الحلّ سيأتي لاحقاً، من نظرية المثاليات... وعن ذلك لاحقاً.

2. محاورة ثيثيوس

تتناول المحاورة موضوع العِلْم، وتسأل السؤال : ما هو العِلم؟
عندما يسأل سقراطُ ثيثيوس، تلميذ ثيودوروس، ما هو العلم، يجاوب الأخير : علم الفلك، أو الهندسة (géométrie)، أو الحساب، أو الفنون...
تظهر عندها مشكلة الوحدة : فهذه كلّها ليست سوى **مواضيع** (objets) العِلم، مثل الطين للفاخوري.
وفي النهاية سييأس ثيثيوس من إعطاء حلٍّ مناسب. فنراه يذهب من تعريفٍ إلى آخر، يتمّ دحضه في كلّ مرّة، لنستنتج أنّ العِلم ليس :
ا- الحِس، وليس
ب- الرأي الصحيح، وليس
ج- الرأي الصحيح الّذي يصحبه العقل.

ولكنّنا نصل بالأخصّ غلى ما نراه يأخذ مكانة أكبر وأكبر، ويرفَض ويهاجَم بشكلٍ واضح في هذه المحاوَرة :
بروتاغوراس : "الإنسان مقياس كلّ شيء".
تعتمد هذه الحجّة على هيرقليطس وتقول :
نبدأ – وأودّ هنا أن أشدّد على يونانية هذا الفكر – من ما يظهر، وهو الحقيقة : وبما أنّ ما يظهر يظهر للحس، فالحس هو بالتالي العِلم.
وهكذا يكون هيراقليطس على صواب، وهو القائل أنّ كلّ شيء في حركة دائمة وصيرورة، كلّ شيئٍ يصير ويتحوّل.

ولكن يجاوب سقراط على ذلك قائلاً بأنّه في هذا الحال لا كيان لشيء، وبالتالي لا يشكّل أي شيء موضوع عِلم، وليس هناك بالتالي من عِلم.

الدحض يقوم به سقراط بالشكل التالي :
1- إذا كان كلّ شخصٍ مقياس حكمته الخاصّة، لا يمكن القول بأنّ بروتاغوراس أكثر حكمةً من غيره، إذ لا يمكننا أن نقارن.
2- ولا يكون هناك، عند غياب الشيء المعني، من معرفة. وحتّى إذا ألمنا بوجود الذاكرة، ما يوجد فيها، عندما يبتعد الشيء عنّا، ليس الشيء نفسه، بل يختلف عنه. وبالتالي، ومرّة أخرى، ذا قبلنا بهذه النظرية، ليس هناك من عِلم.
3- الرأي الصحيح : عندما يقول بروتاغوراس بأنّ الإنسان مقياس كلّ شيء، فرأيه هو إذاً الرأي الصحيح، كما أنّ رأي كلّ شخص بالنسبة إلى نفسه الرأي الصحيح. وعلينا إذاً أن نسلّم بأنّ راي من يخالفه، أي رأي من يخالف بروتاغوراس، هو ايضاً صحيح.
4- الرأي الصحيح الذي يرافقه العقل، أي الّذي يرافقه تحليل أو تعريف :
عندها هناك احتمالين أو طريقتين :
ا- أن نعدّد كلّ الأجزاء – ولكن يمكننا القيام بذلك دون العقل.
ب- أن نحدّد كلّ شيء بما يختلف فيه عن باقي الأشياء، فيكون عندها الرأي صحيحاً. ولكن يكون العقل عندها فيه نفسه,

على كلٍّ، ما الّذي نجده في النهاية؟ ما الّذي نصل إليه؟
العلم ليس الحس، وليس الرأي الصحيح، وليس الرأي الصحيح الّذي يرافقه العقل.
لا نذهب في هذه المحاورة أبعد من ذلك، كما لا نذهب في محاورة بارمنيدس أبعد من العبث.
نصل في كلا الحالتَين إلى طريقٍ مسدود، نوع من التناقض الّذي لا حلّ له :
فلاسفة مدينة إيليا والحسيين.